مقاربة لإشكالية أصول شعيرة تقديم القرابين البشرية عند القرطاجيين

الدكتور عبد اللطيف الركيك، باحث في التاريخ القديم والآثار، المغرب

تقديم:

يعد تقديم قرابين على شرف الأرباب من الطقوس القديمة المصاحبة للعبادات في مختلف مناطق العالم القديم ، باعتبارها سلوكا دينيا مشتركا بين سائر الشعوب التي اتخذت الأرباب ، وحاولت إرضائها بكافة الوسائل بتقديم قرابين من مختلف المواد. وقد وصل الأمر إلى درجة تقديم الأضاحي البشرية التي لم تكن مقتصرة على شعب معين ، وإنما عرفت انتشارا مهما لدى عدد من الشعوب القديمة.

ففي الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم ، من طرف القرطاجيين. وتسعى هذه المقالة إلى مقاربة الموضوع بالتركيز على مسألتين:

أولا: البحث في دلائل ممارسة القرطاجيين تدل المعطيات الأثرية وإفادات النصوص الإغريقية واللاتينية على ممارسة هذه الشعيرة الدينية لهذه الشريعة من خلال مستجدات البحث الأثري وإفادات النصوص القديمة كمساهمة في تسليط الضوء على واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في التاريخ القرطاجي ، وتضاربت بشأنها آراء الكتاب القدامى والمؤرخين المعاصرين.

ثانيا: مقاربة إشكالية أصول ممارسة هذه الشعيرة في الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم ، وذلك من خلال توفير عناصر الإجابة عن السؤالين التاليين: هل يعد تقريب الأطفال في إفريقيا تأثيرا فينيقيا خالصا؟ أم أن تلك الممارسة تستمد جذورها من عادات محلية ليبية عتيقة تلاقت مع معتقدات فينيقية طارئة ؟

الكلمات المفاتيح: قرطاج-توفيت-القرابين البشرية-الأطفال الصغار

Approach to the Problematic of Origins of Rite Offering human sacrifices in the Carthaginians

Abstract: Offering sacrifices in honor of the gods of the ancient rituals associated with worship in the various regions of the ancient world, as a common religious behaviour among other peoples who worshiped the gods, and tried to satisfy them by all means of offering sacrifices of various materials. It has reached the point of offering

human sacrifices that were not limited to a particular people, but were known to be an important spread among a number of ancient peoples in the eastern part of ancient North Africa, by the Carthaginians. This article seeks to approach the subject by focusing on two issues: first, research on the signs of Carthaginian practice. The archaeological data and the Greek and Latin texts indicate the practice of this religious rite through the latest archaeological research and the old texts as a contribution to shed light on one of the most controversial issues in Carthaginian history. Views of ancient writers and contemporary were controversial. Second, to address the problematic nature of the practice of this ritual in the eastern part of ancient North Africa, by providing the elements to answer the following questions: Is the convergence of children in Africa a purely Phoenician influence? Or is this practice rooted in ancient Libyan customs that coincided with an ancient Phoenician belief?

Key words: Carthage-died-human sacrifices-young children

1-شعيرة تقديم الأضاحي البشرية من طرف القرطاجيين من خلال النصوص القديمة:

تحدث الكتاب الإغريق واللاتينيون عن ممارسة القرطاجيين لطقس تقديم قرابين بشرية على شرف أربابهم. وترجع أقدم إشارة بهذا الخصوص إلى القرن 5 ق.م ، حيث أشار جوستينوس إلى قدوم بعثة من الملك الفارسي داريوس(Darius) إلى قرطاج لحث القرطاجيين على ترك تقديم الأضاحي البشرية(1). علما أن الفرس كانوا يحرقون جثت موتاهم حسب هيرودوتوس(2). كما قدم ديودوروس الصقلي تفاصيل أكثر حول تلك الممارسة لما تحدث عن تقديم أضاحي من الأطفال الصغار على شرف الرب ساتورن(Saturne)، أي بعل حمون(Baal Hammon)، مع نهاية القرن 4 ق.م(3). وأضاف بأن تلك الأضاحي قُدمت لإرضاء الرب(4)، وللتكفير عن الذنوب ، أو لمواجهة النوائب التي حلت بمدينتهم تارة أخرى(5).

كما أخبرنا المؤرخ الروماني كينتوس كورتيوس(Quintus Curtius) بأن القرابين البشرية ظلت تمارس بقرطاج إلى غاية سقوط المدينة(6). كما تحدث الفيلسوف الإغريقي بلوتارخوس(Ploútarkhos) عن نفس الممارسة ، ونفس الطقوس المصاحبة لها ، مثل التزام الأمهات بعدم النواح بُغية نيل الحظوة التي أقيم لأجلها الطقس(7). وأشار كتاب آخرون إلى تقديم الأضاحي البشرية بقرطاج دون تقديم إيضاحات حول ظروف ذلك الطقس ، ومن بينهم أوزيبيوس القيصري(Eusebius)، الذي ذكر بأن الأطفال كانوا يقدمون بقرطاج كقرابين على

شرف الرب كرونوس(8)، وكيكرون(Marcus Tullius Cicero)، الذي أخبرنا بأن تقديم القرابين البشرية كان شائعا عند القرطاجيين ، وشعوب أخرى(9).

بينما ذكر ترتوليانوس(Tertullianus) - الإفريقي المولد- أن الأضاحي كانت تقدم للرب ساتورن(10). وأخبرنا بلينيوس الأقدم(Plinius) أن القرطاجيين كانوا يقيمون طقسا سنويا يتم خلاله تقديم قربان بشري على شرف الرب هرقل(11) ، ويرجح أن الأمر يتعلف بالرب ملقرت(12). كما نجد إشارات لنفس الممارسة عند ديونيسيوس(Dionýsios) الهاليكارناسي(13) وبورفير(Porphyre)(14). ويبدو أن تقديم الأضاحي لم يكن مقتصرا على الأطفال ، حيث يبدو أن القرطاجيين قد قدموا قرابين من بين البالغين(15). وقد رأى بعض الباحثين في حوادث انتحار عدد من القادة القرطاجيين أدلة أخرى تزكي ما ورد في النصوص القديمة(16).

2- تأويل البقايا المادية:

انطلق تأويل البقايا المادية خلال الربع الأول من القرن العشرين ، أي بعد اكتشاف ضريح سلامبو(Salammbô) ، والعثور على آلاف الأرنات(Urnes) التي تحوي بقايا عظام محروقة(17). استندت الأبحاث الموالية على تلك البقايا العظمية المحروقة لتعتبره دليلا ماديا يثبت صحة الروايات التاريخية حول تقديم القرابين البشرية بقرطاج ، والحديث عن جود ضريح يدعى "توفيت"(Tophet)(18) كان مخصصا لتقديم ذبائح من صغار الأطفال على شرف بعل حمون وتانيت(19). في حين ظل اسم تلك الشعيرة الدينية ، والظروف التي كان تجرى فيها مجهولة تماما(20).

أما فيما يخص الإطار الكرونولوجي والتوزيع الجغرافي للأضرحة المفترض صلتها بممارسة تقديم القرابين البشرية ، فقد أجمع الأثريون على حصر زمن استخدام "توفيت" قرطاج بما بين القرن 8 ق.م وتاريخ سقوط المدينة(21). كما تم إرجاع "توفيت" موقع حضرموت(Hadrumète) إلى القرن 7 ق.م(22). بينما تنتمي الأضرحة الأخرى المكتشفة بباقي مناطق المجال القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم ، والتي عثر على بقايا مادية غير مباشرة تبين وجودها ، إلى فترات متأخرة تؤرخ عموما لما بعد سقوط قرطاج ، إذ لا يتعدى تاريخ "توفيت" أوتيكا مثلا القرن 1 ق.م(23) ، بينما أرخت أضرحة أخرى بالمواقع التونسية بفترة الاحتلال الروماني مثل مكثر ، وألثيبوروس ، ومديدي ، وتالة ، وتوكا ، وتبرسق ، وتوبورنيقا(Thuburnica) ، وجرجيس (24).

في حين لم يتأكد بعد وجود ضريح مماثل في موقع كركوان(Kerkouane)(25). وهكذا يتركز مجال "التوفيت" حسب المعطيات التي بحوزتنا على قرطاج ، ومواقع تقع بداخل البلاد. بينما يبقى وجوده غامضا بالمناطق الساحلية للمجال القرطاجي ، ولاسيما

بالساحل الشرقي التونسي ، إذا استثنينا "توفيت" حضرموت. ذلك أن البقايا المحدودة التي يمكن تأويلها بوجود "توفيت" تعد قليلة ومتأخرة زمنيا ، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لأضرحة "صبراته" بليبيا ، و"جربة" ، و"الكنيسة" ، و"منزل حرب" بالسواحل التونسية ، حيث لا تتعدى دلائل وجودها العثور على الأنصاب النذرية الشبيهة بتلك التي عثر عليها بموقعي قرطاج وحضرموت(26).

ولهذا ، فإن عدم العثور على أرنات تحوي عظاما محروقة يطرح شكوكا حول حقيقة وجود أضرحة شبيهة بضريح قرطاج في تلك المواقع ، وبالتالي مدى انتشار شعيرة تقديم الأضاحي البشرية التي كانت سائدة قرطاج بباقي أنحاء البلاد الإفريقية التي كانت تابعة للعاصمة القرطاجية.

3- إشكالية تأويل البقايا المادية على ضوء النصوص القديمة:

3-1 الأساس التاريخي لممارسة شعيرة القرابين البشرية من طرف القرطاجيين:

حاول المهتمون بموضوع القرابين البشرية حسم الجدل حول تأويل النصوص التاريخية من خلال الانكباب على دراسة البقايا العظمية المحروقة(27). استنتج بلاري(Pallary) بأن الأطفال الصغار قد أحرقوا وهم أحياء بمكان يقع خارج "التوفيت"(28). واعتبر الباحث أن وجود بقايا حيوانية إلى جانب البقايا البشرية يمثل دليلا على تقديم ذبائح حيوانية بموازاة الأضاحي البشرية(29). أثارت تلك الخلاصات انتقادات باحثين آخرين. فقد شكك سومان(Saumagne) في نتائج تحاليل بلاري ، واعتبر أن المواد المُهداة للأرباب قد تكون شيئا آخر غير بقايا العظام المحروقة مثل الحجارة التي تحمل الكتابة(30). ورغم أن سومان لم ينكر مبدأ تقديم القرابين البشرية ، فإنه استبعد أن تكون تلك القرابين من بين الأحياء ، مرجحا بأن "التوفيت" استعمل أيضا كضريح لدفن الموتى من صغار الأطفال(31)(الشكل1). وقد انتهى فاسيل(Vassel) فيما بعد إلى نفس الفكرة تقريبا(32). وبذلك أسست هذه الخلاصات الأولية للجدل الذي احتدم فيما بعد بين الباحثين ، ولا يزال إلى الآن.

لقد ظل التوفيق بين المعطيات الأثرية والنصوص التاريخية أمرا معقدا يفسر إلى حد ما تردد عدد من الباحثين في دراساتهم(33). ومقابل ذلك أقر باحثون آخرون بممارسة تقديم القرابين البشرية بقرطاج ، لكنهم رفضوا تفسير وجود العدد الكبير من الأرنات بوجود طقس منتظم وواسع الانتشار(34). علما أن النصوص الإغريقية واللاتينية ربطت ممارسة القرطاجيين لتلك الشعيرة بظروف معينة(35). وتم تفسير وجود بقايا العظام الحيوانية بتقديم أضاحي حيوانية بموازاة طقوس دفن الصغار بعد موت طبيعي أملا في أن تهب الأرباب طفلا آخر يعوض الذي توفي(36).

ومع تقدم الأبحاث الأثرية أضحت فكرة اعتبار "التوفيت" بمثابة مدفن للصغار فكرة مقبولة من طرف عدد متزايد من الباحثين الذين دعموها بعدد من القرائن. فقد تبناها الباحث شيفر(Schaeffer) في دراساته(37). كما اتضح لاحقا أن قلة قبور الأطفال بقرطاج تؤيد فكرة اعتبار "التوفيت" بمثابة مدفن للأطفال(38) ، حيث لا يتجاوز عددها المائة من ضمن آلاف القبور(39). لكن الأمر هذا الرأي سرعان ما فقد أهميته ، لاسيما بعد العثور على عدد كبير من قبور الأطفال الصغار خارج "التوفيت" كما بينت الحفريات المتوالية(40). ولا يستبعد وجود قبور مماثلة تعرضت للتلف بفعل العوامل الطبيعية ، خصوصا وأن الأرنات غالبا ما توضع على سطح الأرض(41).

حاول بعض الباحثين تفسير وجود العظام البشرية المحروقة بالحديث عن إمكانية استعمال "التوفيت" كمدفن اعتمدت فيه طريقة الترميد(Incinération)(42)، خصوصا بالنظر لاستحالة التحقق-من خلال التحاليل المختبرية-مما إذا كانت بقايا العظام هي لأطفال أحياء تعرضوا للحرق أم لجثث حرقت بعد الوفاة(43). ويرى البعض الآخر بأن جثامين الأطفال المتوفين بشكل طبيعي ربما قدمت فيما بعد كقرابين على شرف الأرباب في إطار طقوس نجهلها(44).

وعلى خلاف ما سبق ، طابق باحثون آخرون بين النصوص القديمة والبقايا الأثرية. فقد أسقط لبينسكي(Lipinski) ما ورد في التوراة حول طقوس تقديم القرابين البشرية على الممارسات التي عرفها ضريح سلامبو بقرطاج(45). واعتبر الباحث أن العثور على العظام المحروقة يمثل دليلا ماديا على أن الأطفال المُضحى بهم قد ذُبحوا قبل أن يتم تقديمهم كقرابين عن طريق تعريضهم للنار(46). لقد لقيت تلك الفكرة رواجا كبيرا لدى عدد من الباحثين(47)، فتعددت القرائن التي سيقت لمحاولة البرهنة على صدق النصوص القديمة بهذا الشأن. فقد زعم فيرون(Ferron) أنه عثر بضريح حضرموت على الحفرة المخصصة لحرق الأضاحي البشرية(48)، بينما اعتبر جيلبر بيكار(.Picard, C) أن الكوانين المصورة على الأنصاب البونية بقرطاج لها صلة بتقديم الأضاحي البشرية(49).

كما تم الاستدلال كذلك بصورة الشخص الذي يحمل طفلا على إحدى الأنصاب بموقع قرطاج(50).(الشكل 2). دافع أنصار وجود القرابين البشرية عن صدقية معلومات القدامى معتبرين أن هؤلاء جميعا لا يمكنهم الاتفاق على اختلاق وقائع لم تكن موجودة. فالكتاب القدامى ، وإن اختلفوا حول تفاصيل ممارسة شعيرة تقديم الأضاحي البشرية ، فإن تجانس النصوص شيء لا يمكن إنكاره(51). ولم تخل محاولة البحث عن أدلة في إطار الجدل مع منكري وجود تلك الممارسة من بعض الآراء الطريفة(52).

يتضح من خلال قراءة الأدلة التي ساقها أنصار وجود طقس تقديم القرابين البشرية بقرطاج ومنكرو ذلك أن المعطيات المتوفرة لحد الآن لا تسمح سوى بالافتراض، وبالتالي يبقى من الصعب الاقتناع بأي من الفرضيات، واعتبارها بمثابة فرضية متماسكة تلغي تماما الفرضية التي تطرح العكس. ذلك أن الحسم في إشكالية الوجود التاريخي لهذه الشعيرة عند القرطاجيين يصطدم بوجود هوة ما انفكت تزداد اتساعا بين قطعية النصوص التاريخية القديمة ونسبية المعطيات المادية المتوفرة لحد الآن. ينضاف إلى ذلك عجز الوسائل العلمية الحديثة عن الحسم في الموضوع. فإذا نحن صرفنا النظر عن الدليل المادي، وصدقنا روايات المصادر الإغريقية واللاتينية، فإننا سنقبل حتما بواقع تقديم القرطاجيين لأطفال أحياء كقرابين.

كما يلاحظ أن معطيات النصوص القديمة تبدو أكثر انسجاما من معطيات العلم الحديث في هذا الشأن. فالدراسات التي استندت إلى التحاليل المخبرية تتناقض في استنتاجاتها، ولا تقدم دليلا علميا ماديا ملموسا يؤكد أن العظام المحروقة المكتشفة في الأضرحة هي لأطفال تعرضوا للحرق وهم أحياء. ولذلك يبقى الربط بين بقايا الأرنات وما ورد في النصوص القديمة مسألة جد معقدة. فنحن نجهل الوظيفة الأصلية للتوفيت، والطقوس التي كانت تجرى به. إن الإشكال يكمن-إذن-في كيفية إقامة الصلة ما بين النصوص التاريخية ومحتويات الأرنات من العظام المرمدة، لأنه إذا ثبت أن العظام المحروقة هي لأطفال مُضحى بهم، فذلك يعني أن القرطاجيين قد واظبوا بشكل متواصل على تقديم القرابين البشرية، وهو شيء يتعذر إثباته في حدود المعطيات الحالية. ولكن ذلك لا يعني إنكار تقديم القرابين البشرية في إطار ظروف استثنائية كشعيرة دينية عرفتها عدد من شعوب العالم القديم.

2-3 إشكالية أصل شعيرة تقديم القرابين البشرية:

تستلزم مقاربة هذه الإشكالية البحث في جميع مصادر التأثير الممكنة بما في ذلك احتمال تبني الليبيين القدامى لذلك الطقس الديني. غير أن البحث في هذا الأمر يصطدم بضعف البقايا المادية(53)، وغياب ما يستدل به في النصوص التاريخية على معرفة هؤلاء بتلك الشعيرة منذ فترة سابقة على مجيء الفينيقيين إلى الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم(54). وهذا ما يدفعنا إلى طرح مسألة التأثير الفينيقي. لقد رفض الباحثون في البداية وجود تلك الطقوس في فينيقيا نظرا لعدم العثور على "التوفيت" بالمواقع الفينيقية(55). ورغم العثور على أرنات تضم بقايا عظام أطفال بموقع مجيدو(Megiddo) في فلسطين أرخت بعصر الملك النبي سليمان(56)، وبقايا عظمية مشابهة بموقعي تل الجزر(Gézer) بفلسطين المحتلة وكفر جرة(Kfar Jarra) بجنوب لبنان الحالي(57).

تمسك عدد من الباحثين برفض فكرة تقديم القرابين البشرية بفينيقيا مقابل الإقرار بممارستها في مناطق بالأردن القديم(58)، مثلما رفضوا الاستدلال بمعلومات النصوص التوراتية للبحث في وجود نفس الشعيرة عند العبرانيين. وذلك بدعوى أن تلك النصوص التي تحدثت عن تقديم القرابين البشرية لا تخص العبرانيين ، وإنما الشعوب التي حاربوها كما يمكن أن يستشف من إحدى النصوص التوراتية: " قلّد [أخاب] ما كان سائدا عند ملوك إسرائيل فقدم ابنه للنار حسب العادات الشنيعة للبلدان التي حاربها يهو(Yahvé) "(59). ويرى الباحث كرا(Gras) وآخرون أن المقصود بتلك الشعوب هي المناطق الواقعة خلف الأردن(60)، حيث حارب الإسرائيليون هناك مملكة مؤاب بزعامة ملكها ميشع(Mésha)(61). وهناك من يرى أنه رغم إشارة بورفير-أصيل مدينة صور الفينيقية- إلى تقديم القرابين البشرية من طرف الفينيقيين(62)، فإنه مع ذلك لم يشر بشكل صريح إلى تلك الممارسة بموطنه ما يمثل دليلا على غيابها بمدينة صور(63).

رغم التشكيك في صدقية معلومات بورفير ، فإن هناك إشارات في نصوص أخرى تتحدث عن تقديم القرابين البشرية من طرف الفينيقيين. فقد أشار كينت كورس بوضوح إلى تقديم القرابين البشرية خلال حصار ألكسندر المقدوني لمدينة صور بفينيقيا(64). وهذا ما جعل كرا(Gras) وآخرون يقرون بوجود تلك الطقوس بفينيقيا. لكنهم وإن أقروا بممارسة الفينيقيين لشعيرة تقديم الأضاحي البشرية ، فهم يرون أن الفينيقيين قد تخلوا عنها منذ الألف الأول ق.م. مستدلين على ذلك بما كتبه هيرودوتوس ، الذي زار مدينة صور ، ولم يتحدث عن وجود طقس من هذا القبيل. كما أن أهم المصادر حول القرابين البشرية ، وهي كتابات ديودوروس الصقلي وبلوتارخوس ، قد تحدثت عن تلك الشعيرة عند القرطاجيين ، وليس الفينيقيين(65).

بيد أن استنتاجات هؤلاء الباحثين تبقى انتقائية ، ومعزولة عن سياقات وطرق استدلالهم على الأصل الفينيقي لعدد من مظاهر الديانة القرطاجية انطلاقا من النصوص الإغريقية واللاتينية. فهم لا يترددون في نسب كل ما هو قرطاجي إلى الفينيقيين ، ويجعلون من ذلك الربط قاعدة لدراسة مظاهر الحضارة القرطاجية. وبالتالي لا مبرر لجعل ممارسة تقديم الأضاحي البشرية استثناء في تلك القاعدة.

غير أن التأويلات التي قُدمت لنفي ممارسة تقديم القرابين البشرية في المنطقة الكنعانية لا تبدو مقنعة بالنسبة إلينا. لقد تضمنت النصوص التوراتية إشارات صريحة تبين أن العبرانيين قد مارسوا تلك الشعيرة ، ومنها ما ذُكر حول وجود ضريح يتم فيه تقديم الأضاحي البشرية بحوض بن هينوم(66). كما أشارت التوراة إلى قانون المواليد البكور(Premiers-nés) الذي يعتبر تقديم أضاحي من الأطفال إلى الرب "يهو" واجبا

مقدسا(67). كما عابت نصوص التوراة على العبرانيين تقديم أبنائهم كقرابين على شرف الأرباب(68).

ويستفاد من تلك النصوص أن الحكام العبرانيين كانوا يمارسون تلك الطقوس أيضا ، حيث نجد في التوراة قيام القاضي العبري يفطي(Jephté) بتقديم ابنته كقربان على شرف الرب "يهو" ابتهاجا بانتصاره على الأمونيين(69). وتعود هذه الأحداث حسب لبينسكي(Lipinski) لما بين القرنين 10 و7 ق.م(70). لقد استمرت تلك الممارسة على ما يبدو إلى غاية القرن 7 ق.م ، عندما قام الملك جوسياس(Josias) بتدنيس وحرق الأماكن التي كانت تقام فيها تلك الطقوس(71)، وأمر بقتل جميع الكهنة الذين كانوا يشرفون على إقامتها(72).

أما بالنسبة للفينيقيين ، فلا يبدو أن غياب آثار "التوفيت" بالمواقع الفينيقية يحسم مسألة عدم ممارسة الفينيقيين لشعيرة تقديم القرابين البشرية لعدة اعتبارات قد ترجع لقلة الحفريات بالمواقع الفينيقية القديمة. لقد تحدثت النصوص التوراتية عن تقديم الفينيقيين للأضاحي البشرية كما يتضح من معاتبة التوراة للعبرانيين على اتباع عادات الكنعانيين المتمثلة في تقريب الأطفال على شرف الأرباب(73). وتدعم النصوص الكلاسيكية ما ورد في التوراة. فبالإضافة إلى نص بورفير المشار إليه سابقا ، فقد نقل أوزيبيوس عن فيلون البيبلوسي الذي جمع مؤلفات المؤرخ الفينيقي سنخونياتن الذي عاش بدوره خلال القرن 11 ق.م إشارات متعددة بهذا الخصوص.

ومن تلك الإشارات أن الرب كرونوس ، أي "إيل" الفينيقي الذي كان أول ملوك بيبلوس حسب الأساطير الفينيقية ، كان هو أول من قام بحرق ابنه الوحيد بعد أن اشتد القحط بالبلاد وحث الناس على الإقتداء به(74). وورد في نفس المصدر أن الفينيقيين قد دأبوا على ذبح أعز أبنائهم في إطار طقوس تقام على شرف الأرباب عند حلول الأخطار الكبيرة(75). وتتضح فكرة أوزيبيوس أكثر في النص التالي: "كان الفينيقيون يضحون بأعز أبنائهم على شرف الرب كرونوس خلال أوقات الحروب والنوائب والجفاف ، فيختارون الأضحية عن طريق التصويت". وهناك أمثلة كثيرة على ذلك الأمر في التاريخ الفينيقي الذي كتبه سنخونياتن باللغة الفينيقية وترجمه فيلون البيبلوسي إلى اللغة الإغريقية (76).

وإذا كانت إفادات النصوص التوراتية ، وما نُقل عن الأساطير الفينيقية التي جمعها سنخونياتن تبقى غير كافية ، فإن الإشارة إلى نفس الطقوس الدينية في نص تاريخي ينتمي لفترة متأخرة يفرض استحضار تلك المعطيات رغم الانتقادات التي يمكن إبداؤها بصددها. فقد أخبرنا كينت كورس بأن رأي الصوريين-بعدما اشتد حصار ألكسندر حوالي 332 ق.م- قد استقر على ضرورة تقديم ذبيحة عبارة عن صبي حي كقربان إلى الرب ساتورن لكي

تحظى المدينة بمعونة الأرباب(77)، وأضاف نفس المؤرخ أن الفينيقيين كانوا قد تخلوا عن تلك الطقوس منذ عدة قرون(78). وهذا يعني أنهم كانوا يمارسونها منذ فترات أقدم.

لقد عززت ألواح رأس شمراء العائدة إلى القرن 14 ق.م المعلومات المستفادة من المصادر الإغريقية واللاتينية. فقد ورد في تلك الأشعار بأن أنات(Anat) قامت بتقديم موث(Mot) كقربان(79). كما تضمنت إشارة إلى الطقوس التي ينبغي على سكان أوغاريت القيام بها عندما تتعرض مدينتهم للخطر، ومن بينها تقديم قرابين من صغار المواليد على شرف الرب(80). ولا شك بأن نتائج الحفريات المتأخرة قد غيرت الآراء التي تبلورت في السابق بشأن مساهمتها في البرهنة على ممارسة القرابين البشرية في فينيقيا. فقد عثر سنة 1990 بموقع صور على بقايا "توفيت" به عدد كبير من الأرنات والأنصاب المهداة لتانيت، وأرخ بالقرن 8 ق.م(81).

كما أثبتت الأبحاث الأثرية ممارسة تقديم القرابين البشرية عند جيران الفينيقيين، وخصوصا بمناطق الأردن القديم، حيث ورد في التوراة بأن ميشع ملك مؤاب(بالأردن) قام بتقديم أحد أبنائه كقربان لما داهمه خطر العبرانيين (82). وفي هذا الصدد، كشفت الحفريات الأثرية بموقع قرب عمان بالأردن عن ضريح يعود إلى القرن 13 ق.م وجدت به حسب الأثريين دلائل قوية على ممارسة تقديم القرابين البشرية(83).

وبناء على ما سبق، لا نجد مناصا من أن ننسب للفينيقيين إدخال طقوس تقديم القرابين البشرية إلى قرطاج. ويمكن أن نعد انتشار "التوفيت" في المراكز التي وصل إليها الفينيقيون، أو استقروا بها بمناطق حوض البحر الأبيض المتوسط بمثابة معطيات إضافية تدعم القرائن التي سبقت الإشارة إليها. فقد عثر على تلك الأضرحة بمواقع بسردينيا وصقلية(84)، وإيبيزا بجزر البليار(85). ورغم أن معظمها تنتمي زمنيا لفترة النفوذ البوني، فإن "توفيت" سولكيس(Sulcis) بسردينيا يؤرخ بالقرن 9 ق.م(86) مما يعني بأن الضريح يدخل في عداد آثار الوجود الفينيقي بالمنطقة.

ويبقى أن نتساءل عن سبب غضب الكتاب الإغريق واللاتينيين من ممارسة القرطاجيين لشعيرة تقديم القرابين البشرية، والدافع وراء اعتبارها جريمة، ومحاكمة القرطاجيين كجناة رغم أن الأمر يتعلق بممارسة قديمة عرفتها عدد من شعوب العالم القديم(87). فقد أشارت النصوص التاريخية إلى قدم تلك الممارسة عند الإغريق(88)، والقبارصة(89)، واللاتينيين، حيث تحدثت المصادر عن قدمها واستمرارها إلى غاية عصر هادريان(90). وهناك أيضا نصوص تاريخية تشير إلى وجود نفس الطقوس بمصر(91)، وببلاد الغال(92)، وبلاد العرب(93).

الهوامش:

1) JUSTIN, XIX, 1
2) HÉRODOTE, *Histoires*, III, 16
3) DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque Historique*, XX, 14
4) Ibidem
5) DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque Historique*, XV, 24, 2

- أوروسيوس (أبلوس)، تاريخ العالم، ص. 266

6) QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 59
7) PLUTARQUE, *De Superstition*, 171
8) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 8 ; id, ibid., V, 16, 10
9) CICÉRON, *La république*, III, 9, 15
10) TERTULLIEN, *Apologétique*, IX, 2
11) PLINE L'ANCIN, *Histoire Naturelle*, XXXVI, 39
12) Ibidem.
13) DENYS D'HALICARNASSE, *Antiquité romaine*, I, 38,
14) PORPHYRE, *Traité sur l'abstinence de la chair des animaux*, II, 27

15) من بين النصوص التي تحدثت عن هذا الأمر نجد ما ذكره ديودوروس الصقلي. فقد عمد حنبعل عندما سيطر على هميرا حوالي 409 ق.م إلى تقريب حوالي 3000 أسير إغريقي ربما انتقاما لمقتل أملقار. كما قام القرطاجيون بنفس الشيء مع نهاية القرن 4 ق.م من خلال تقريب أسرى من جيش أغاطوكل. وقام القائد القرطاجي هيميلكون بإلقاء الأسرى في البحر على شرف الرب بوزيدون. وفي نفس الإطار زعم فلير مكسيم بأن القرطاجيين قدموا أضاحي من الأسرى الرومان أثناء معركة بحرية على شرف الرب الفينيقي نبتون(Neptune) من خلال سحقهم تحت سفنهم. راجع النصوص التالية:

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque Historique*, XIII, 54; Id, ibid., XX, 65; Id, ibid., XIII, 86; VALÈRE MAXIME, *Actions et paroles mémorables*, III, 3

16) يرى بعض الباحثين بأن محرقة عليسا تندرج في إطار طقس تقديم القرابين البشرية، وأن عليسا هي التي أدخلت تلك الممارسة إلى إفريقيا منذ الفترة المبكرة من تاريخ قرطاج، وأن استمرار عادة تقريب البشر يمثل تخليدا لذكرى انتحار عليسا. وهناك من أدرج حدثين مماثلين في نفس الإطار وهما انتحار أملقار وزوجة أسدربعل. بيد أن تفسير الأحداث المذكورة في هذا الاتجاه لم يكن مقنعا في نظر باحثين آخرين. ذلك أن المصادر التي أشارت لتلك الأحداث لم تتحدث عن الوازع الديني كأهم دافع لإقدام هؤلاء الأشخاص على الانتحار. والراجح أن الأمر يتعلق بنوع من القتل الذاتي كان يروم من ورائه أصحابه الحيلولة دون مصير معين كما يتضح من رغبة عليسا في الامتناع عن الزواج من يرباس وسعي أملقار للتخلص من العقاب الذي كان ينتظره بقرطاج أو ربما من الإحباط الذي انتابه نتيجة الخسائر التي مني بها القرطاجيون في هميرا. بينما أقدمت زوجة أسدربعل على الانتحار حسرة على استسلام زوجها ورغبة في تلافي السقوط أسيرة بيد الروم. للمزيد من التفاصيل راجع النصوص والمراجع التالية:

HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 166-167 ; APPIAN, *Punic Wars*, VIII, 131 ; G.-Ch., PICARD S. (1954) p. 42 ; S. LANCEL (1992) p. 36; G. CAMPS (1992) p. 52 ; D. SOREIN ; A. BEN ABD KHADER, et H. SLIM, (1994) p. 29 ; S. MOSCATI (1971) p. 163-164

17) اكتشف الضريح الذي رُبط بممارسة تقديم القرابين البشرية سنة 1921 من طرف إيكار، ونسب لتانيت وبعل حمون. ويتمثل أهم ما كشفت عنه الحفريات الأولية في الموقع في وجود ثلاث طبقات أثرية تضم الآلاف من الأرنات الجنائزية بها عظاما محروقة وبجوارها الأنصاب التي تحمل إهداءات نذرية لتانيت وبعل حمون. وضريح سلامبو هو عبارة عن فضاء مقدس مفصول عن الخارج بواسطة سور مشكل من الحجارة والطين، ويبدو أنه كان يشبه الميدان رفع فيه مذبح

وأنصاب إجلالا لتانيت وبعل حمون، حيث يتميز بعدم وجود بيت مبني يأوي الحرم(Chapelle). ورغم ذلك، فإن الحفريات لم تتمكن لحد الآن من معرفة المساحة الحقيقية للضريح خلال فترة توسعه. لمزيد من التفاصيل راجع الأبحاث التالية:

J. ICARD(1922) p. 198 ; D. SOREIN; A. BEN ABD KHADER, et H. SLIM, (1994) p. 165 et 167

- فنطر، محمد حسين(1999)، ص. 13

18) كلمة " توفيت" من نص توراتي يشير إلى ضريح مخصص لتقديم القرابين البشرية بحوض بن هينوم بإسرائيل. ويبقى أصل التسمية في اللغة الفينيقية والبونية غامضا. ذلك أن لفظ "توفيت" لم يرد في النقائش البونية بضريح صلامبو. ويبدو أن البونيين استعملوا كلمة ق د ش(קדש) التي تعني معبد. وينطبق نفس الشيء على وثائق الشرق الفينيقي، حيث نجد كلمة ق د ش بنفس الصيغة والدلالة في ملاحم رأس شمراء، وفي النقائش الفينيقية كذلك (م ق د ش). ونجد في نقيشة إتروسكية- بونية أن لفظ ق د ش البوني يقابله في النص الإتروسكي لفظا بالإتروسكية يعني "معبد". مع العلم أن النقائش البونية تتضمن أيضا لفظا آخر يطلق على الأرجح على المعابد وهو "ب ت" أي بيت أو معبد الرب. وبذلك لا يمكن أن نعتبر اللفظ بونيا أو فينيقيا. ويرى بعض الباحثين بأن كلمة " ت ف ت" لها أصل في اللغات السامية الشمالية الغربية ولاسيما في اللغة الآرامية، حيث أن نفس الجذر يفيد في تلك اللغة معنى "نار". وتبعا لهذا التفسير، فإن كلمة ت ف ت تعني "أتون النار" أو "مكان الجمر" مما يحيل إلى علاقة اسم الضريح بطقوس مرتبطة بالنيران. لمزيد من التفاصيل راجع الأبحاث التالية:

J. HEURGON(1965) p. 90 ; E. LIPINSKI(1995) p. 418-420 et 483 ; J.-G. FÉVRIER(1965) p. 11 ; Ch. VIROLLEAUD(1936) p. 46 ; M. GRAS, et autres(1995) p. 219 ; Rois II, 23, 10 ; Jérémie VII, 31 et XIX, 5

19) ورد اللفظ في النصوص التوراتية باستعمال التاء في بداية الكلمة وليس الطاء. ولذلك فالصحيح هو كتابتها بصيغة "توفيت" وليس "طوفيت" المستعملة في بعض الكتابات العربية. انظر بهذا الخصوص:

M. GRAS, et autres(1995) p. 219

20) لا يكاد الباحثون يتفقون على شيء فيما يخص اشتقاق اللفظ ومعناه وكيفية انتقاله إلى إفريقيا. لقد وردت في الصيغ النذرية للأنصاب عدة ألفاظ ربما لها صلة بطقس تقديم القرابين البشرية مثل م ل ك/ ب ع ل بقرطاج، وم ل ك/ أ د م في إحدى النقائش التي عثر عيها بجنوب شرق الكاف بتونس، وبالحفرة بالإضافة إلى لفظ م ل ك/ أ م ر بالموقع الأخير، وبموقع نكوس(Négaous) بالجزائر. وقد تم التركيز على لفظ م ل ك والبحث عن أصله في النصوص التوراتية من خلال المقاربة بينه وبين لفظ "م ل ك" في العبرية الحديثة التي تعني "ملك" وكذلك "ميلكوم" الذي أطلقه العبرانيون على رب جيرانهم الأمونيين، ولفظ "مولك" الذي يشير على الأرجح إلى الرب التي قدمت على شرفه القرابين البشرية بحوض بن هينوم. وهناك من اعتبر أن لفظ م ل ك في النقائش البونية ليس سوى تحريف للفظ التوراتي ، وأنه يتضمن معنى "قربان" ويشير تبعا لذلك إلى اسم الطقس الذي كان يمارسه البونيون. لكن تلك التأويلات لم تحسم إشكالية اسم الطقس في اللغة البونية نظرا لاحتمال غياب علاقة مباشرة بين اللفظ البوني والاستعمالات التوراتية لأن لفظي مولك وميلكوم في التوراة تشير إلى أسماء أرباب وليس إلى اسم طقس معين. هذا فضلا عن غموض صلة لفظ " م ل ك" بقرطاج بطقس تقديم القرابين البشرية لأن وجوده نادر على الأنصاب، ولم تشر إليه النصوص القديمة. ومن هنا، فإن ربط لفظ " ملك" بطقس تقديم القرابين البشرية من الصبيان يبقى أمرا افتراضيا ما لم تتوفر دلائل كافية. لمزيد من التفاصيل راجع الأبحاث التالية:

L. MONLOUBOU, et F.-M. DU BUIT(1984) p. 482 ; J.-G., FÉVRIER (1955) p. 53 ; C. PICARD(1984) p.68 ; E. LIPINSKI(1995) p. 476-478 ; A. BERTHIER, et R. CHARLIER(1955) p. 29-31 ; Ibid., n° 54, p. 49 ; Rois II, 23, 13 ; id, ibid., 23, 13 ; Lévitique, 18, 21 ; CIS I, 147

21) S. LANCEL (1992) p. 252-265 ; S. MOSCATI(1971) p. 208 ; M.-M. JANIF(2002) pp. 73-78, passim

22) E. LIPINSKI(1995) p. 441

23) P. CINTAS(1951) p. 77-79

24) E. LIPINSKI(1995) p. 442 ; A. FERJAOUI (1988) p. 265

25) M.-H., FANTAR(1987) p. 63 ; E. LIPINSKI, «Kerkouane» dans **DCPP**, p. 246

26) H. BEN YOUNES(1981) p. 535-536

27) تحاشى المختصون في الطب في البداية الإقرار بوجود عظام بشرية بالأرنات وفضلوا الحديث عن عظام حيوانات. لكن تم الإقرار مع توالي الدراسات بأن تلك الأوعية تتضمن بالفعل نسبة ضئيلة من عظام الحيوانات مقابل نسبة وافرة من العظام البشرية التي نسبت لأطفال صغار. ويعد الدكتور بلاري أول من توصل إلى تلك الخلاصة منذ 1922 من خلال تحاليل مختبرية.

28) P. PALLARY(1922) p. 209-210

29) Ibid, p. 207

30) Ch. SAUMAGNE (1922) p. 231

31) Ibid., p. 231

32) E. VASSEL (1923) p. 88

33) من بين هؤلاء نذكر الباحثان فنطر وموسكاتي. فقد أيّد الأول تلك الفكرة في العديد من أبحاثه ، ثم تخلى عنها فيما بعد وقدم تأويلات جديدة تنكر وجود الطقس من خلال التشكيك في صحة النصوص التاريخية والمرويات التوراتية. فقد اعتبر فنطر بأن نصوص الكتاب الإغريق واللاتينيين تضمنت تحريفات وتحاملات ضد القرطاجيين لأنهم عرفوا بعدائهم لقرطاج وعدم الموضوعية والجنوح المبالغ فيه إلى الخيال والرصيد الميثولوجي. وأضاف بأن ديودوروس الصقلي على- سبيل المثال- قد استوحى معلوماته من الأساطير الإغريقية ليؤثر- حسب تفسير الباحث- على النفوس ويثير استيائها. كما يرى بأنه لا يوجد دليل في النصوص التوراتية يثبت بأن الكنعانيين والفينيقيين خصوصا قد مارسوا تلك الشعيرة. أما موسكاتي فقد اعتبر محتويات الأرنات دليلا على صدق روايات النصوص القديمة ، وفي سنة 1991 نشر كتابا أعاد فيه تقييم رأيه وأعاد طرح المسالة من خلال مقاربة نقدية للنصوص التاريخية ليستنتج بأن الطقوس الممارسة بقرطاج كانت تختلف عن الشعائر المذكورة في التوراة ، وأن عدم إشارة المؤرخين القدامى من أمثال هيرودوتوس وتوقسيديد وتيت ليف لممارسة ذلك الطقس بقرطاج يقلل من شأن المعلومات التي نقلها غيرهم. كما انتقد ديودوروس الصقلي الذي خلط في نظره بين طقس ديني عادي كان يقام في قرطاج وبين ممارسة القرابين البشرية. ولكن موسكاتي في الواقع لم ينكر وجود ذلك الطقس في إطار شعائر ظرفية كانت تمليها ظروف المدينة مادام أن تقديم الأضاحي قد عرف عند العديد من شعوب العالم القديم ، وإنما اعترض على فكرة شيوع وانتشار ذلك الطقس بقرطاج كما توحي بذلك محتويات الأرنات بطبقات الضريح. وخلص الباحث إلى أن العظام المحروقة هي عبارة عن بقايا نذور قدمت على شرف أرباب التوفيت في إطار دفن أطفال صغار بطريقة الترميد وأنها لا تبرهن على تقديم أطفال أحياء كقرابين للأرباب. كما رفض تفسير وجود عظام حيوانات إلى جانب العظام البشرية بممارسة قرابين بديلة عن القرابين البشرية. انظر المراجع التالية:

M.-H. FANTAR (1993) p. 278 et 302 ; Id (1990) p. 79 et 84-85 ; Id (1992-1993) p. 363- 365; S. MOSCATI (1971) p.208

فنطر مُحَمَّد حسين (1999) ، ص. 14 و15

34) M. GRAS, et autres(1995) p. 231

35) انظر بهذا الشأن النصوص التالية:

JUSTIN, XVIII, 6 ; id, ibid., XXIV, 2 ; DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque Historique*, XX, 14; id, ibid., XV, 24, 3

36) M. GRAS, et autres(1995) p. 227

37) M. SCHAEFFER (1956) p. 67

38) H. BEN YOUNES(1981) p. 491

39) H. BÉNICHOU-SAFAR (1982) p. 342

40) Ibid., p. 65

41) Ibid., p. 342

42) Ibid., p. 343

43) Ibidem

44) Id (1981) p. 8

45) E. LIPINSKI(1995) p. 478

46) Ibid., p. 481

47) S. GSELL(1929) p. 405; B.-H. WARMINGTON(1961) p. 189 ; D. SOREIN; A. BEN ABD KHADER, et H. SLIM, (1994) p. 162 etc

48) J. FERRON(1963) p. 43

49) C. PICARD(1978) p. 91

50) M. GRAS, et autres(1995) p. 231

51) D. SOREIN; A. BEN ABD KHADER, et H. SLIM, (1994) p. 168

52) انفرد ستاكر(Stager) بتقديم تفسير غريب للبقايا العظمية بالأرنات فافترض بأن تقديم الأطفال كقرابين كان يروم تقليص النمو "الديموغرافي" المتزايد بقرطاج. لكن تلك الفكرة لا تبدو موفقة بالنظر لطبيعة الظروف الصحية التي عاشها الإنسان خلال تلك الفترة والتي لم تكن بأي حال أفضل من ظروف العصر الراهن حتى يمكن تأويل تقديم الأضاحي بالرغبة في الحد من النمو "الديموغرافي" كما يرى سودر. راجع ما يلي:

L.-E. STAGER(1979) pp. 31-33 passim ; W. SUDER(1991) p. 408

53) يمكن الاستئناس في هذا الإطار بالتأويلات التي أعطيت لمشهد على إحدى اللوحات الصخرية الأطلس الكبير بالمغرب والتي تصور شخصا تُصوّب نحوه السهام. اعتبر ذلك المشهد من طرف مالوم(Malhomme) وآخرون دليلا على تقديم القرابين البشرية بالمغرب القديم منذ فترات جد قديمة(عصر البرونز الإيبيري الثاني). لكن هناك معطيات تبعث الشك في صحة هذا التأويل من بينها ندرة مشاهد مماثلة باللوحات الصخرية بالأطلس الكبير إذ لا يتعدى عددها ثلاثة من بين ما يربو عن 3500 لوحة. ولذلك لا يستبعد أن الأمر يتعلق بمشاهد التمثيل بجثث أشخاص أو جنود كما يقر بذلك مالوم نفسه ، أو طقوسا أخرى نجهل طبيعتها. راجع الأبحاث التالية:

J. MALHOMME(1959) n° 153h.2, p. 73 ; Id (1961) n° 1238, p. 115 ; Id(1958) p. 383 et 387; A. RODRIGUE(1999) p. 141 ; A. SIMONEAU(1967) pp. 91-135

54) تنتمي كل البقايا التي يمكن تأويلها في نفس السياق لفترات متأخرة كما هو الشأن بالنسبة لضريح الحفرة العائد إلى القرن 3 ق.م. وينطبق نفس الشيء على النصوص التاريخية ، فقد ذكر هزينكس(Hésianax) أن الماسوليين قد قدموا أسيرا روميا كقربان على شرف الرب كرونوس. وأخبرنا ترتوليان بأن النوميديين قدموا الأطفال كقرابين على شرف الرب ساتورن. بينما أشار كوريب إلى أن الأمازيغ قدموا قرابين بشرية لربهم الذي يدعى مستمان(Mastiman). راجع ما يلي:

Hésianax in Frag. Hist. Graec., III, p. 70-71, n° 11 cité par G. CAMPS(1960) p. 39 ; TERTULLIEN, Apologétique, 9; CORIPPE, *Johannide*, VIII, 307-309 ; F. BERTRANDY (1994) p. 1969

55) S. MOSCATI (1971) p. 81 et 196

56) E. LIPINSKI(1995) p. 438

57) كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية ، ص. 164-165

58) M. GRAS, et autres(1995) p.220

59) Rois II, 16, 3

60) M. GRAS, et autres(1995) p.220

61) Rois II, 26-27

62) PORPHYRE, *Traité sur l'abstinence de la chair des animaux*, II, 27, 2

63) M. GRAS, et autres(1995) p.226
64) QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 59
65) M. GRAS, et autres(1995) p.226
66) Rois II, 23, 10 ; Jérémie VII, 31 ; ibid, XIX, 5 ; ibid., XXX, 33 ; Exode, XXII, 28-29 ; Ézéch., XX, 25-26
67) Exode, XIII, 2 ; ibid., XXII, 28-29
68) Lévitique, 18, 21
69) Juges, XI, 29
70) E. LIPINSKI(1995) p. 439 et 480
71) Rois II, 23, 10 et 13
72) Rois II, 23, 20
73) Rois, 17, 16-17 ; Psaume, 106, 37-38 ; Deutéronome, 32, 17
74) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 33
75) Id, ibid., IV, 16, 11
76) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 6
77) QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 59
78) Ibidem
79) R. DUSSAUD(1949) p. 383
80) C. PICARD(1978) p. 68
81) E. LIPINSKI(1995) p. 439
82) Rois II, 26-27
83) J.-B. HENNESSY(1985) p. 103
84) M. GRAS, et autres(1995) p. 234 ; S. MOSCATI (1971) p. 196
85) S. LANCEL (1992) p. 99
86) S. MOSCATI (1971) p. 291

87) حاول بعض الباحثين إيجاد أسباب لتبرير ما كتبه المؤرخون الإغريق واللاتينيون ضد قرطاج. من بينها انتشار تلك الطقوس وانتظامها وطريقة تنفيذها وهو شيء يميز القرطاجيين عن الشعوب الأخرى التي عرفت خلال أوقات معينة ممارسة نفس الطقوس. كما أن تقريب الأطفال بقرطاج كان طقسا غريبا يثير التقزز والنفور عند الإغريق واللاتينيين ، خصوصا وأن الشعوب الأخرى قدمت قرابين من بين البالغين. أضاف آخرون سببا آخر يتمثل في تمسك القرطاجيين بطقوس كانت قد هجرتها الشعوب الأخرى. بينما ساير مؤرخون آخرون الأوصاف التي استعملها الكتاب القدامى كما يتضح مثلا من آراء كركوبينو الذي يرى بأن القرطاجيين كانوا يخضعون بشكل أعمى لإملاءات ضمائرهم البدائية زاعما بأن التأثير الهليني هو الذي عجل بترك تلك الطقوس بعد أن ألغيت بشكل تام عند الروم. ورغم ذلك ، فإن ما كتبه القدامى لم يكن ليسلم من بعض الأحكام ، إذ لا يمكننا اعتبار تقريب الصبيان بقرطاج سببا كافيا لتبرير مواقف هؤلاء لأن هناك نصوصا تتحدث عن التضحية بصغار المواليد عند شعوب أخرى. علما بأنه يصعب التأكد مما إذا كان الإغريق أو الرومان قد ساهموا في إلغاء القرطاجيين لتلك الشعيرة ، فالرومان استمروا في تقديم قرابين بشرية ، في إطار ظروف استثنائية طبعا ، إلى فترة لاحقة على سقوط قرطاج كما بينا سابقا. ومن هنا لا نستطيع تنزيه الكتاب القدامى وتبرير مواقفهم ، ولا نستبعد محاولتهم توظيف تلك الوقائع لإذكاء الصراع الذي كان يروم إضعاف القرطاجيين وتصويرهم كشعب بشع يجب محاربته وذلك كغطاء للأطماع الإغريقية ثم الرومانية فيما بعد. انظر بهذا الشأن:

J. CARCOPINO(1944) pp. 39-48; B.-H. WARMINGTON(1961) p. 190-191 ; P. PALLARY(1922) p. 210

88) HÉRODOTE, *Histoires*, II, 119 ; EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 9 ; id, ibid., IV, 16, 1 ; id, ibid., IV, 16, 5 ; id, ibid., IV, 16, 12 ; DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque Historique*, XX, 14 ; HOMÈRE, *Iliade*, XXIII, 174 ; DENYS D'HALICARNASSE, *Archéologie romaine*, I, 38, 2 ; SEXTUS EMPIRICUS, *Hypotyposes*, III, 208 cité par M. GRAS, et autres(1995) p. 224

89) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 2-3

90) Id, ibid., IV, 16, 7-18 ; TITE-LIVE, *Histoire Romaine*, XXII, 57, 6; DION CASSIUS, *Histoire Romaine*, XLIII, 24, 4; PLINE L'ANCIEN, *Histoire Naturelle*, XXX, 12.

91) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 4 ; CICÉRON, *La république*, III, 9, 15

92) Ibidem ; TITE-LIVE, *Histoire Romaine*, XXXVIII, 47, 11-12

93) EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, IV, 16, 8

لائحة البيبليوغرافيا:

1- المصادر:

أ- **المصادر المترجمة إلى العربية:**

أوروسيوس(أبلوس)، *تاريخ العالم*، الترجمة العربية القديمة (منتصف ق. 4هـ)، حققها و قدم لها عبد الرحمان بدوي، المؤسسة العربية للدراسات ت والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1982

ب-المصادر الإغريقية واللاتينية:

APPIAN, *Roman history (The Punic wars)*, Vol. I, book VIII, English translation by White, H , et Heinemann W. , London, 1912

CICÉRON, *La république*, T. II, liv. II-VI, texte établi et traduit par Breguet, É. les Belles lettres, Paris, 1980

CICÉRON, *La république*, T. II, liv. II-VI, texte établi et traduit par Breguet, É. les Belles lettres, Paris, 1980

CORIPPE, *La Johannide*, texte traduit par Alix, J., dans Rev. Tun., T. VI-IX, 1899-1902

DENYS D'HALICARNASSE, *Antiquité romaine*, I, traduit par Philippe Remacle«http://remacle.org»

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. II, liv. V-XIII, traduit du grec par Hoefer, F., Librairie Hachette et Cie, Paris, 1912

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. III, liv. XIV-XVII, traduit du grec par Hoefer, F., 3 ème édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1912

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T.IV, liv. XX, 2 ème édition, traduit du grec par Hoefer, F., Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1865

DION CASSIUS, *Histoire romaine*, liv. XLIII, Traduction de Philippe Remacle(http://remacle.org).

EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, liv. I, introduction, texte grec, traduction et commentaire par Sirinelli, J., et places, E., les Editions du Cerf, Paris, 1974

EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, liv. IV-V, 1-17, introduction, traduction et annotation par Zink, O., texte grec révisé par Palaces, E., les Éditions du Cerf, Paris, 1979

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. II, texte établi et traduit par Legrand, PH.- E., les Belles lettres, Paris, 1936HÉRODOTE, *Histoires*, liv. III, texte établi et traduit par Legrand, Ph.- E., 4ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1967

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. VII, texte établi et traduit par Legrand, Ph.- E., 4ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1951

HOMÈRE, *Iliade*, T. IV, chants XIX-XXIV, texte établi et traduit par Mazon, P., avec la collaboration de Chantraine,P., Collart, P., et Langumier, R., les Belles lettres, Paris, 1963

JUSTIN, *Abrégé de l'histoire universelle de Troque-Pompé*, traduction française par Pierrot, J., et Pessoneaux, Librairie Granier Frères, Paris, 1922.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XXX, Traduction française: É. LITTRÉ, J. J. Dubochet , Le Chevalier et Comp, Éditeurs, Paris, 1850

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XXXVI, Traduction française : É. LITTRÉ, J. J. Dubochet , Le Chevalier et Comp, Éditeurs, Paris, 1850

PLUTARQUE, *De Superstition*, Traduction française : D. RICHARD, Chez Lefèvre Éditeur, Paris, 1844

PORPHYRE, *Traité sur l'abstinence de la chair des animaux*, II, Paris, M. DCC. XLVII

QUINTE-CURCE, *Histoires*, T.I, liv. III-VI, texte établi et traduit par Bardon, H., 4ème tirage revu et corrigé, les Belles lettres, Paris, 1992.

TERTULLIEN, *Apologétique*, Traduction littéral par J. P. WALTZING, 2eme édition revue et corrigée, Librairie Bloud et Gay, Paris, 1914

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. VI, liv. XXVII-XXX, traduction nouvelle avec introduction et des notes de Lassere, E., Librairie Garnier Frères, Paris, 1949

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. XXVIII, liv. XXXVIII, texte établi et traduit par Adam, R., les Belles lettres, Paris, 1982

VALÈRE MAXIME, *Actions et paroles mémorables*, III, Garnier: l'édition de 1935 de CONSTANT.

2-المراجع:

أ-بالعربية:

-فنطر ، مُحَمَّد حسين(1999)= فنطر ، مُحَمَّد حسين "حول النقائش البونية" مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية ، العدد 11 ، 1999 ، ص.ص 1-35

-كونتنو ، ج(1997) = كونتنو ، ج ، *الحضارة الفينيقية* ، ترجمة مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997

ب-بالفرنسية:

H. BÉNICHOU-SAFAR (1981)= BÉNICHOU-SAFAR H., «À propos des ossements humains du Tophet de Carthage» dans **Rivista di Studi Fenici**, Vol. IX, 1981, pp. -15-9

H. BÉNICHOU-SAFAR (1982)= BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, CNRS, Paris, 1982

BERTHIER, et R. CHARLIER(1955)= BERTHIER A., et CHARLIER, R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, AMG, Paris, 1955

F. BERTRANDY (1994)= BERTRANDY, F., «Cirta» dans **Ency. Berb.**, T. XIII, Edisud, Aix-en-Provence, France, 1994, pp. 1964-1977

G. CAMPS (1992)=CAMPS G., *L'Afrique du Nord au féminin*, Perrin, Paris, 1992

G. CAMPS(1960)= CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, dans Libyca (Anthr.-Préh.-Ethn.), T. VIII, 1960(320 pages)

J. CARCOPINO(1944)= CARCOPINO J., «Rome et les immolations d'enfants» dans **Aspects mystiques de la Rome païne**, Paris, 1944, pp. 39-48

P. CINTAS(1951) =CINTAS P., « Deux campagnes de fouilles à Utique » dans **Karthago**, T. II, 1951, pp. 5-79

R. DUSSAUD(1949)= DUSSAUD R., *Les religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens*, PUF, Paris, 1949

M.-H. FANTAR (1990)= FANTAR M.-H., « Baal Hammon » dans **REPPAL**, T. V, 1990, pp. 67-105

M.-H. FANTAR (1992-1993)= FANTAR M.-H., «Compte rendu du: Moscati S., Gli adorator di moloch » dans **REPPAL**, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 363-366

M.-H. FANTAR (1993)= FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, Alif, Tunis, 1993

M.-H., FANTAR(1987) =FANTAR M.-H., *Kerkouane, un cité punique au Cap Bon*, Maison tunisienne d'édition, Tunis, 1987

A. FERJAOUI (1988) =FERJAOUI A., «Des stèles puniques à Zian (Zargis)» dans **REPPAL**, T. IV, 1988, pp. 265

J. FERRON(1963)= FERRON J., «La Byzacène à l'époque punique, état actuel des connaissances » dans **Cahiers de Tunisie**, 11è année, n° 41-42, 1963, pp. 31-46

J.-G. FÉVRIER(1965) = FÉVRIER J.-G., «L'inscription punique de Pyrgi » dans **CRAI**, Janvier-Juin 1965, pp. 11-18

J.-G., FÉVRIER (1955) =FÉVRIER J.-G., «Le vocabulaire sacrificiel punique » dans **Journal Asiatique**, T. CCXLIII, 1955, pp. 49-63

M. GRAS, et autres(1995)= GRAS M., ROUILLARD P., et TEIXIDOR J., *L'Univers phénicien*, Édition révisée, Hachette, Paris, 1995

S. GSELL(1929)= GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. IV, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1929

J.-B. HENNESSY(1985)= HENNESSY J.-B., «Thirteenth century B.C, temple of human sacrifice at Ammon» dans **Studia Phoenica**, T. III, 1985, pp. 85-104

J. HEURGON(1965) =HEURGON J., «Les inscriptions de Pyrgi et l'alliance étrusco-punique de 500 av. j.-c.» dans **CRAI**, Janvier-Juin, 1965, pp. 89-104

J. ICARD(1922) =ICARD J., «Découverte de l'aréa du sanctuaire de Tanit» dans **Rev. Tun.**, n°152-153-154, Juillet-Décembre 1922, pp. 195-205

M.-M. JANIF(2002) =JANIF M.-M., «Les sacrifices d'enfants à Carthage : l'hypothèse de Stager, L.-W., reconsidérée» dans **REPPAL**, T. XII, 2002, pp. pp. 73-78

S. LANCEL (1992) =LANCEL S., *Carthage*, Fayard, Paris, 1992

E. LIPINSKI(1995) =LIPINSKI, E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, Studia Phoenicia, T. XIV, 1995

J. MALHOMME(1958)= MALHOMME J., «Le bronze II dans le grand Atlas: les sacrifices humaines » dans **BAM**, T. III, 1958-1959

J. MALHOMME(1959)= MALHOMME J., *Corpus des gravures rupestres du grand Atlas*, 1ère partie, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 13, Rabat, 1959

J. MALHOMME(1961)= MALHOMME J., *Corpus des gravures rupestres du grand Atlas*, 2ère partie, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 14, Rabat, 1961

L. MONLOUBOU, et F.-M. DU BUIT(1984) =MONLOUBOU L., et DU BUIT F.-M., *Dictionnaire biblique*, Desclée, Paris, 1984

S. MOSCATI (1971) =MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, traduit par SALA, C., et revue par ARCELIN, P., Fayard, Paris, 1971

P. PALLARY(1922)=PALLARY P., «Les urnes funéraires trouvées à Salammbô» dans **Rev. Tun.**, n° 152-153-154, Juillet-Décembre 1922, pp. 206-211

C. PICARD(1978) =PICARD C., «Les représentations de sacrifice Molk sur les stèles de Carthage » dans **Karthago**, T. XVIII, 1978, pp. 5-15 + 12 pls

G.-Ch., PICARD S. (1954)= PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, Librairie Plon, Paris, 1954

A. RODRIGUE(1999)= RODRIGUE A., *L'Art rupestre du Haut Atlas marocain*, L'Armattan, Paris, 1999

Ch. SAUMAGNE(1922) =SAUMAGNE Ch., «Notes sur les découvertes de Salammbô, I- sur les sacrifices humaines» dans **Rev. Tun**., n° 151-152-153, Juillet-Décembre 1922, pp. 231-251

M. SCHAEFFER= SCHAEFFER M., «Séance du 17 Février» dans **CRAI**, Janvier-Mars 1956, pp.67

A. SIMONEAU(1967)= SIMONEAU A., «L'androgyne et les gravures de Haut Atlas » dans **BAM**, T. VII, 1967, pp. 91-135

D. SOREIN; A. BEN ABD KHADER, et H. SLIM, (1994) =SOREIN D. ; BEN ABD KHADER A., et SLIM H., *Carthage*, splendeur et décadence d'une civilisation, Traduit de l'anglais par Pérez, A., Éd. Albin Michel. S.A, Paris, 1994

L.-E. STAGER(1979)= STAGER L.-E., «Rapport de fouilles (1978) » dans **CEDAC**, Carthage, Bull. n° 2, Juin 1979, pp. 31-33

W. SUDER(1991)= SUDER W., «Tophet à Carthage. Quelques remarques sur le rite funéraire et les problèmes démographiques» dans **ACISPP**, II, Vol. I, Roma, 1991, pp. 407-409

E. VASSEL (1923)= VASSEL E., «Moloch et le grand couple divin des carthaginois » dans **Rev. Tun.**, n° 155-156, Janvier-Avril 1923, pp. 88-90

Ch. VIROLLEAUD(1936) =VIROLLEAUD Ch., *La légende de Keret, roi des sidoniens*, publiée d'après une tablette de Ras-Shamra, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1936

B.-H. WARMINGTON(1961)= WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, Traduit de l'anglais par GUILLEMIN, S.-M., Payot, Paris, 1961

ج-أطاريح جامعية:

H. BEN YOUNES(1981)= BEN YOUNES H., La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques, Diplôme de recherches approfondies, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, Mai 1981(dactylographiée)

د-موسوعات:

Corpus des Inscriptions Sémitique, I

Dictionnaire de la Civilisation Phénicienne et Punique.

الشكل 1: بقايا "توفيت" صلامبو بقرطاج المكتشف سنة 1921.

الشكل 2: صورة الراهب والطفل على نصب ب"توفيت" قرطاج مؤرخ بالقرن 3 ق.م(المتحف الوطني باردو، تونس)